تأسّست الفِرقة، قبل أربعين عاماً، يُعارَض فيها مُرْشِدها. وكان خصومه يقولون: «لو كان «ماني» ذلك الشخص الطاهر الذي أشارت به «العناية الإلهية» لكان اختار رفيقاً له، من بين هذا العدد من المريدين الفضلاء، شخصاً غير هذا الفاسد «مالكوس» الذي ينتهك كل يوم أنظمة حياتنا ولا يُعلن سوى الاحتقار لجماعتنا!».

والحقّ أن الفتى «الصُّورِيّ» ما كان من الممكن أن يكون نموذجاً للتُّقى. فقد كان يناهز أعوامه الخمسة عشر، أي سنّ النضج المعترف بها، ولم يكن يُخفي قطّ رغبته في مغادرة بستان النخيل. ولا كان يتحرّج كذلك من الحديث إلى الجميع عن (المدائن)، وعن تجارته في قابل الأيام، وعن قصره وقوافله. ثم إن «سيتابي» و«أصحاب الملابس البيضاء» الآخرين كانوا قد كفّوا عن منع اختفاءاته مُدركين أنه لم يكن ينتمي قطّ إلى شريعتهم.

ما أشدّ إذن ما كانت دهشة «مالكوس» لدى عودته من القرية ذات مساء عندما انقضّ عليه ثلاثة من أعتى «الإخوة» وثبّتوه إلى الأرض ثم جرّوه إلى فِناء «البيت المقدّس» حيث أوثقوه إلى نخلة النادمين وأخذوا يَكيلون له الضربات من غير أن يقدِّموا له أي تفسير.

وعندما هرع «ماني» كانت السِّياط الثلاثة المصنوعة من نبات معترش مضفور تنهال على ظهر صديقه وفخذيه بانتظام شَرِس مصحوبة بالمواعظ المعتادة: «اعترف بذنوبك!»، «اعترف!»، «أظهر توبتك!». وفي كل مرّة كانت صرخات «الصُّورِيّ» تطول وتزداد إيلاماً.

وبإشارة من «سيتابي» ازدادت أيدي الجلادين وطأة، فصرخ المراهق بغتة في سورة غضب:.

ـ لست الوحيد الذي يفرّ هنا، فلماذا أُعاقَب أنا؟.

وأشرق وجه «سيتابي» بابتسامة. فها قد جاءت آخر الأمر الوشاية التي كان يصبو إليها. وهكذا اقترب من المُنَكَّل به، وكأنه لم يكن ينتظر سوى هذه